كوميديا «نظيف» في حل أزمة «الرغيف»

د. محمد لطفي
mmlotfy56@hotmail.com

عادة ما يطلق النقاد عبارة «كوميديا نظيفة» إذا كان النص الكوميدي خالياً من الإسفاف والابتذال، وقد تنسب الكوميديا إلى الفنان القائم بالعمل فنقول كوميديا «الريحاني» أو «مدبولي»... واليوم سنتحدث عن كوميديا الحوار الصحافي الذي قام ببطولته د. أحمد نظيف رئيس الوزراء المصري، ونُشر على مدى يومين في إحدى الصحف المصرية.

فقد جاء الحوار أشبه ببيان وزاري تحدث فيه د. نظيف كما يشاء من دون أي حوار جدي أو مناقشة فعلية من جانب المحاور الصحافي لأمور في غاية الأهمية تمس الرأي العام المصري، تناولها د. نظيف باستفزاز كامل وسخرية وتشويه للحقائق...

فجاء الحوار -البيان- أشبه بالكوميديا، ولكنها لم تضحك أحداً.

تحدث الدكتور عن أزمة رغيف الخبز، وفاجأنا سيادته بأن الأزمة تعود أساساً إلى تحسُّن الرغيف، حسبما أخبر وزير التضامن ساخراً، أنه السبب في الأزمة، لأن الرغيف تحسن فزاد الإقبال عليه!

وفي موقع آخر من الحوار نفسه، قال إن هناك تسريباً في الدقيق المدعوم من جانب أصحاب المخابز... وصرح وزير التضامن نفسه، في أكثر من مقابلة سابقة، بأن هناك سوء استخدام للرغيف، واتهم المواطنين باستخدامه علفاً للطيور والماشية، فلا ندري من نصدق رئيس الوزراء الذي تحدث عن تحسن مستوى الرغيف، أم رئيس الوزراء الذي تحدث عن التسريب، أم وزير التضامن الذي اتهم المواطنين!

وفاجأنا الدكتور كذلك بنظرية «الإتاحة»، ذاكراً أن مشكلة رغيف الخبز «ثلاثية» تشمل السعر، والوزن، و«الإتاحة»... والإتاحة هنا تعني، من وجهة نظره، أن الرغيف موجود، ولكنه ليس متاحاً للجميع! فيا سيدي لو كان الرغيف متوافراً والإنتاج كافياً لأصبح متاحاً بصورة تلقائية، ولم تكن هناك مشكلة على الإطلاق، أما محاولة الهروب والتلاعب بالألفاظ. والحديث بأن الخبز موجود، ولكنه غير متاح، فهو أشبه بحديث الفقير لأولاده بأنه يمكنه شراء اللحم، ولكن ليست عنده شهية لأكله!

وبالنسبة إلى السعر، فقد ذكر أن السعر ثابت، ولكن فقط تمت إضافة ثمن كيس البلاستيك الذي يوضع فيه الخبز لضمان وصوله سليماً معافى إلى المواطنين (كيس ثمنه الفعلي 5 مليمات يصبح فجأة بعشرة قروش نتيجة خصم رغيفين من الكيس مثل دجاجة شيرين التي اشترتها بنصف جنيه ودفعت 10 جنيهات ثمناً لقفصها!).

ألا يعتبر هذا حديثاً كوميدياً لا يقبله عقل ولا منطق، والغريب أن السيد المحاور لم يحرك ساكناً، ولم يبدِ اعتراضاً أو مناقشة حقيقية، كأن الأمر لا يعنيه، أو أن وظيفته هي فقط الاستماع وتسجيل ما يذكره الدكتور رئيس الوزراء.

وعودة إلى الكوميديا في حديث نظيف فكان «الماستر سين»، أو المشهد الرئيس كما يقول النقاد، هو تصريح سيادته بأن تغيير وزن الرغيف مخالفة دستورية! ولا أدري ألا يفرِّق السيد رئيس الوزراء بين المخالفة الدستورية والجنحة المدنية؟ أم أنه يستهزئ بالدستور؟ أم انه يسخر من الشعب الذي لا يفهم؟ أم انه لا يحترم المحاور الذي لا يناقش؟ ولم يذكر لنا سيادته أي مادة في الدستور تلك التي تتحدث عن رغيف الخبز؟ أم تراه يسعى إلى مساواة وزن الرغيف بتوريث الحكم مثلاً... فكلاهما مخالفة دستورية.

لا أحب المقالات الطويلة، وأعلم سرعة نفاد صبر القارئ، ولكن ما باليد حيلة؛ فحديث سيادته طويل ومستفز، والمساحة «المتاحة» صغيرة! لذا سأضطر إلى إنهاء المقال بتعليق صغير عن مشكلة البطالة التي ذكر أنه تم حلها بنسبة كبيرة! وهنا أسأله سؤالا واحدا فقط: هل استمع إلى حديث الناجي الوحيد من حادث الهجرة غير الشرعية وقوله : إنه رغم ما شاهده كله من أهوال وعاشه من لحظات موت وهلع فإنه لن يتردد في تكرار التجربة إذا أتيحت له الفرصة؟!

فيا سيادة رئيس الوزراء : هل نجحتم فعلا في حل مشكلة البطالة؟ أم نجحتم في دفع الشباب إلى الفرار من جنتكم الموعودة؟! وإن كان من تعليق أخير على المقال إجمالا فكما يقول الإخوة اللبنانيون «هيك صحافة يلزمها هيك وزارة»... ولا عزاء للمواطن المصري.

حوارات... خادم الحرمين

د. حسن عبدالله جوهر
hasanjohar@hotmail.com1

مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في إقامة مؤتمر عالمي للحوار الذي يبدأ أعماله في مدريد قرار مهم وشجاع، بل توقيته ومكانه في قلب أوروبا له دلالات لا تقل أهمية عن أصل الفكرة، ومنها تعزيز ثقة المسلمين بأنفسهم وأمام هذا الإعلام المكثف والمضلل بالوصول إلى عقر دارهم، والتحدث معهم بلغة الحوار المتمكن والصريح.

خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز صاحب مبادرات رائدة وحكيمة يخترق من خلالها الحالة الملتهبة والمتنامية من التوتر السائد في العالم ككل وفي الأقاليم الإسلامية بوجه خاص.

فبعد مبادرة الحوار الإسلامي السني-الشيعي في المملكة العربية السعودية، والتي كانت سابقة يعول عليها كثيراً في تحقيق أجواء أفضل من الألفة وتعزيز الجبهة الإسلامية الداخلية، يطلق الملك عبدالله مبادرته الجديدة في إقامة مؤتمر عالمي للحوار في العاصمة الإسبانية مدريد كتحول عالمي ملح في عصر صدام الحضارات والأديان.

فلطالما كانت الدوافع الدينية وقوداً لكثير من الحروب والصراعات البشرية على امتداد التاريخ الإنساني، بل حتى المواجهات السياسية والعسكرية ينفخ فيها لتزيد استعاراً وليدوم أمدها وتتسع رقعتها جغرافياً من خلال التعصب الديني، إما لإسباغ الجوانب الشرعية والعقيدية عليها، وإما لإضفاء الغطاء المقدس تبراً لها.

ومنذ سقوط الإمبراطورية الشيوعية في بداية التسعينيات وانتهاء الحرب الباردة بين قطبي العالم آنذاك؛ الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، والتي لم تخل خلالها حروب الوكالات الإقليمية بين حلفائهما، فقد نشط البعد الديني في تأجيج أكثر من ساحة ومنطقة جغرافية، وكان دور الدين الإسلامي محورياً في العديد من تلك الصدامات، إذ لم تخل أي ساحة إسلامية، بل ذات أي وجود إسلامي من الحروب والقتال وُالدمار بدءاً من أقصى الشرق وانتهاءً بأميركا الجنوبية مروراً بآسيا الوسطى وأوروبا، أما منطقة الشرق الأوسط فقد تحولت إلى ميدان رئيسي للنزال العسكري والدموي، حيث استغل الدين شعاراً بالحق والباطل وبتعمد أو جهل ومن قبل المسلمين أنفسهم ومن خصومهم وأعدائهم على حد سواء، للتصعيد والتبرير لإشعال تلك النيران.

ونجح الإعلام الغربي من خلال ذلك في تصوير المشهد العالمي بأنه مواجهة العالم الحر ضد الإسلام والمسلمين، ومثل هذه الحالة المقززة التي استثمر فيها أشكال الحقد والكراهية كلها على المسلمين في تعميم ظالم ومنظم دفعت بالقوى والحكومات الغربية إلى حشد الرأي العام فيها من خلال التعبئة الدينية أيضاً، وكان ذلك واضحاً في تصريحات معلنة ومتواترة من رؤساء دول كبرى أمثال بوش وبوتين وشيراك وخليفته ساركوزي وتوني بلير وميركل وصولا إلى بابا الفاتيكان.

وفي فن من الدبلوماسية الماكرة سرعان ما كان هؤلاء الزعماء يتراجعون أو يوضحون تصريحاتهم السلبية بأنها لا تشمل المسلمين جميعهم بعدما يشفوا غليل مواطنيهم ومؤسساتهم الدينية!

وصحيح أن بعض المسلمين قد أساء بالفعل إلى الدين الإسلامي وتلبد بعباءته وشوه الكثير من المعاني السامية لهذه الرسالة المقدسة من خلال القتل والإرهاب وترويع الآمنين، إلا أن مثل هذه السلوكيات المنحرفة لا تمثل مئات الملايين من أتباع هذا الدين الخاتم، وهذا ما يجب أن يفهمه العالم.

ومبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في إقامة مؤتمر عالمي للحوار الذي يبدأ أعماله في مدريد قرار مهم وشجاع، بل توقيته ومكانه في قلب أوروبا له دلالات لا تقل أهمية عن أصل الفكرة ومنها تعزيز ثقة المسلمين بأنفسهم وأمام هذا الإعلام المكثف والمضلل بالوصول إلى عقر دارهم والتحدث معهم بلغة الحوار المتمكن والصريح.

ويبقى هذا قدرنا في دفع ثمن ما يسببه المتطرفون والمتعصبون، فتصريح استفزازي واحد أو جريمة إرهابية قد لا تكلف شيئاً من الناحية المالية، ولكن ترميم مثل هذه الجرائم وجراحاتها يتطلب أموالا وإعلاماً وتحركات دبلوماسية متواصلة ومكلفة على حساب الكثير من متطلبات البناء والتنمية، ولكنها تستحق ذلك!

التفكير النقدي وهلوسات الإنترنت

إيمان علي البداح
eman.albedah@gmail.com

الحماس والولاء للمعتقِد شيء جميل مادامت العاطفة لا تطغى على العقل، وخصوصاً مع سهولة الاتصال وتدفق المعلومات عبر الإنترنت والبريد الإلكتروني، لذا فنحن في أمس الحاجة إلى التحليل النقدي للمعلومة في ضوء رغبتنا الجامحة لتصديقها.

قبل ما يزيد على العام بعثت إليَّ إحدى الصديقات بريداً إلكترونيا عن «لعبة» جديدة تسمى Gen.pets، وهي -كما تدعي الرسالة- عبارة عن كائن حي «مصنع» جينياً للعب الأطفال، ويمتد عمره إلى ثلاث سنوات. وتحتوي الرسالة على عنوان موقع الشركة المصنعة الذي يحتوي على فيلم دعائي لها. وتساءلت صديقتيَ الذكية إن كان هذا صحيحاً لأن المنطق لا يقبل بهذه البدعة؟! فقمت مباشرة بالبحث عن اللعبة في موقع مخصص لفصل الغث عن السمين في فضاء الانترنت الواسع، وهو www.snopes.com، واتضح أن اللعبة والموقع كليهما خدعة كبيرة قام بها آدم براندس -وهو فنان كندي لم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين حينها- ليوعي العامة بأخطار الهندسة الوراثية. وأعجبنا حينها بذكاء الخدعة، واعتقدنا أن الأمر انتهى عند ذلك.

فوجئت، بعد ما يزيد على العام منذ هذه الرسالة، بوصول رسالة أخرى عن الموضوع نفسه، ولكنها هذه المرة باللغة العربية وبصبغة إسلامية، جاء فيها: إن هذه اللعبة تشكل «ثورة العلم، بل فلنقل جنون العلم. الأمر من أول وهلة قد يتنافى مع الإدراك السليم، ويراه البعض خروجاً على الدين، بل ويعتبره آخرون انتهاكاً لحقوق الحيوان!»... «هذه الحيوانات الأليفة الغريبة الأطوار، يراها الزائر لكندا وهي تغط في سبات عميق في بعض محال بيع الحيوانات الأليفة داخل علب بلاستيكية خاصة». ثم يؤكد كاتب الرسالة أنه «لا يخفى على القارئ الحساسية الشديدة التي ينطوي عليه مثل هذا الأمر، حيث إنه قد يدخل تحت تصنيف الاستنساخ، وما ينطوي عليه الاختراع من اعتراضات أخلاقية ودينية جمة، الأمر الذي منع شركة «يوجينيكا» حتى الآن من الترويج لهذا المنتج عالمياً»، ثم يعود ليقول في الرسالة نفسها: إن «دول الخليج تشن حملة تحول دون دخول اللعبة إلى أراضيها». وكدليل أرفق مع الرسالة البريدية كتاب من مدير إدارة الشؤون الإسلامية القطري يؤكد فيه «أن مثل هذه الألعاب مخالف للشريعة والأخلاق الإسلامية». وهكذا، و«بقدرة قادر»، تتحول الخدعة إلى دليل دامغ على انحلال الغرب ونتيجة «منطقية» للعلمانية والإلحاد.

وذكرتني هذه الرسالة بتجربة لطيفة، قام بها أحد المدونين واسمه المستعار «سرحان» http://sar7aan.blogspot. daggaaa.html/07/com/2008، إذ قام باستعارة بعض الصور من موقع عالمي لمسابقات فوتوشوب لفواكه وخضراوات ملونة بألوان قوس قزح، وبعثها بالبريد الإلكتروني تحت عنوان «سبحان الله والله أكبر... خضراوات وفواكه ملونة طبيعية 100%»، وألف قصة تقول إن هذه الصور التقطت في إحدى القرى القريبة من غابات الأمازون! وخلال أسبوع من تأليف الرسالة، عادت إليه من الآخرين بحماس أكبر ومن دون أي شك في صحتها.

الحماس والولاء للمعتقد شيء جميل مادامت العاطفة لا تطغى على العقل، وخصوصاً مع سهولة الاتصال وتدفق المعلومات عبر الإنترنت والبريد الإلكتروني... فنحن في أمسّ الحاجة إلى التحليل النقدي للمعلومة في ضوء رغبتنا الجامحة لتصديقها. و«الشبكة العنكبوتية» مثلما تحمل الخدع والمعلومات المضللة فإنها تحوي مراجع وأدوات قيمة لمن يسعى إلى معلومة صحيحة بعيداً عن عواطفه وتحيزاته وميوله الشخصية.

أنا هوسارسكا *

عودة الأفغان

PROJECT SYNDICATE

وكأن الصراع المسلح الدائر بين القوات الحكومية الأفغانية المدعومة من جانب التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة وبين قوات «طالبان» لم يكن كافياً، فإذا بنا نجد أفغانستان، وقد أصبحت في مواجهة الأزمة التي كانت تُتمنى لو تعتبرها نجاحاً: وهي أزمة «العودة الكبرى».

من جلال آباد إلى هيرات- بل وفي كل مكان من شمال أفغانستان- نستطيع أن نرى العلامات الدالة على عودة الأفغان من المنفى، فالشاحنات الباكستانية الملونة في كل مكان، تحمل الروافد والنوافذ الخشبية والأبواب وهياكل الأسرة، والزوجات والأطفال يجلسون فوق كل هذا.

لقد كان حجم النزوح هائلا: ففي ذروته بلغ عدد الأفغان الذين كانوا يعيشون خارج بلادهم ستة ملايين، أغلبهم في باكستان وإيران، وكان ثلاثة أرباعهم تقريبا قد فروا من البلاد بعد الغزو السوفييتي في عام 1979، إلى جانب أعداد أقل ممن فروا من حكم الرئيس نجيب الله المناصر للسوفييت، أو من الحرب الأهلية التي استمرت منذ عام 1992 إلى عام 1996 بين فصائل المجاهدين المختلفة، ثم حكم «طالبان» بعد ذلك.

كما فر بعض أنصار «طالبان» في أعقاب طرد قادتهم حين دخل التحالف الشمالي كابول في نوفمبر 2001.

منذ ذلك الوقت، عاد أكثر من 3.5 ملايين لاجئ أفغاني إلى ديارهم بالفعل، إلا أن أولئك الذين ظلوا خارج الحدود الأفغانية يشكلون أضخم مجموعة من اللاجئين في العالم، وهناك أيضاً العديد من المهاجرين الأفغان، وبصورة خاصة في إيران.

تؤوي باكستان أغلب اللاجئين الأفغان المتبقين والذين ربما يبلغ عددهم 1.9 مليون لاجئ. وحين أجريت عملية تسجيل اللاجئين الأفغان في باكستان أثناء عام 2007، كان نصفهم تقريباً يعيشون في معسكرات. بيد أن هذه «المعسكرات» تحولت بعد ثلاثة عقود من إنشائها إلى قرى من البيوت المبنية بالطوب اللبن والتي تحيطها أسوار عالية.

وحيث إن ثلاثة أرباع اللاجئين تحت سن الثامنة والعشرين فإن أغلبهم لم يروا مسقط رأس آبائهم قط. فقد ولدوا ونشأوا في أفغانستان، وأغلبهم لا يتحدثون إلا لغة الباشتو، وهي إحدى اللغتين الرسميتين في أفغانستان. وتستخدم لغة الباشتو بواسطة القبائل التي تعيش على كل من جانبي خط ديوراند، وهو الخط الحدودي الذي رسمه حكام الهند المستعمرون في القرن التاسع عشر. ولكن رغم هذه الروابط العرقية، واستضافة باكستان لهؤلاء اللاجئين لمدة ثلاثين عاما، فإن باكستان لا تسمح للأفغان بالاندماج رسمياً في المجتمعات المحلية. ولا أمل لهؤلاء اللاجئين في الحصول على الجنسية الباكستانية أو حتى تصاريح العمل، ولا حق لهم في الوصول إلى الخدمات الصحية والتعليمية. وعلى هذا فإن الخيار الوحيد المتاح أمامهم هو «العودة».

إن الإقليم الحدودي الواقع بين باكستان وأفغانستان يشكل التهديد الأساسي «للحرب ضد الإرهاب». ففي هذا الإقليم نجد تورا بورا، أو آخر عنوان معروف لأسامة بن لادن. والموقف المشتعل في المنطقة يشكل ذريعة إضافية تنتحلها الحكومة الباكستانية في الإصرار على ترحيل اللاجئين كافة- إذ إنهم نظرا الى انتماءاتهم القَبَلية المعقدة قد يشكلون تهديدا أمنيا داخليا.

وطبقًا للاتّفاقيات الثلاثية بين حكومتي باكستان وأفغانستان ووكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة (UNHCR) فمن المقرر أن يتم إغلاق أربعة من أضخم المعسكرات في باكستان وترحيل الأفغان المقيمين فيها كلهم. ورغم أن الترحيل من المفترض أن يكون آمنا وطوعيا على المستوى النظري، فإن الواقع مختلف، فالعودة كثيرا ما تكون محفوفة بالمخاطر، ومادام من المعروف أن المواقع البديلة تكاد تكون غير قابلة للسكنى فإن هذا يعني أن ذلك الخيار مفروض على اللاجئين.

بعد مفاوضات مطولة وافقت السلطات الباكستانية على شكل من أشكال التسوية، فقد تقرر إغلاق المعسكر الأضخم بين المعسكرات المتبقية، وهو معسكر جالوزاي، الذي كان ذات يوم يؤوي نحو 110 آلاف لاجئ- كان معسكر كاتشا غاري قد أغلق بالفعل في عام 2008. وبعد بضعة أيام من حلول الموعد النهائي في الخامس عشر من أبريل، دخلت البلدوزرات لكي تسوي بالأرض المتاجر التي فككها التجار الأفغان المغادرون مسبقًا. كانت رحلات العودة من باكستان تتألف من عشرين ألف شخص أسبوعيا منذ بداية شهر مايو 2008، فضلاً عن سبعين ألف أفغاني عادوا منذ بداية العام وحتى نهاية شهر مايو، وأكثر من خمسين ألفًا عادوا من معسكر جالوزاي، طبقاً للبيانات الصادرة عن وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

ولكن ما لم يعترف المسؤولون في البلدان المعنية كلها، بما في ذلك الولايات المتحدة، بأن أفغانستان مازالت خطيرة وغير مجهزة لاستيعاب هذه العودة الضخمة، فلن يكون بوسعهم اتخاذ الخطوات اللازمة لعلاج الموقف وضمان سلامة وأمن العائدين واكتمال العودة بشكل طوعي مسالم.

* كبير مستشاري التخطيط والسياسات لدى لجنة الإنقاذ الدولية «بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»

تشارلز تانوك*

أميركا اللاتينية ومحور مناهضة شافيز

PROJECT SYNDICATE

كان إنقاذ إنغريد بيتانكورت وأربعة عشر آخرين من الرهائن الذين ظلوا محتجزين لأعوام بواسطة القوات المسلحة الثورية في كولومبيا (FARC) بمنزلة نقطة تحول كبرى في حرب كولومبيا الطويلة ضد عصاباتها الماركسية المسلحة التي تقوم على تجارة المخدرات، كما يؤكد ذلك بروز مجموعة ثلاثية جديدة من زعماء أميركا اللاتينية- الرئيس الكولومبي ألفارو أوريبي، والبرازيلي لويز إناسيو لولا دا سيلفا، والمكسيكي فيليبي كالديرون- العازمين على القضاء على أباطرة المخدرات والحركات العصابية المسببة لزعزعة الاستقرار في أميركا اللاتينية، فضلاً عن عزل زعيم الدهماء محدث النعمة، الرئيس الفنزويلي هيوغو شافيز.

لقد تأكدت مكانة أوُريبي كواحد من زعماء أميركا اللاتينية التاريخيين حتى قبل إنقاذ بيتانكورت والرهائن الآخرين، لقد فاز أوريبي بإعادة انتخابه بأغلبية مطلقة غير مسبوقة منذ عامين وفي الجولة الأولى من التصويت. إلا أن إصرار أوريبي على عدم التفاوض مع القوات المسلحة الثورية في كولومبيا بشأن المختطفين، وملاحقته بكل عزيمة للتمرد المسلح الذي قتل والده، يشكلان علامتين فارقتين في رئاسته. فقد نجح بذلك في تبديل حال الدولة التي كانت واقعة في قبضة بارونات المخدرات والتي كانت على شفا التحول إلى دولة فاشلة.

إن احترافية القوات المسلحة الكولومبية، مقترنة بشعبية أوريبي واقتصاد كولومبيا الذي شهد نموا مستمرا أثناء ولايته، نجحت لأول مرة منذ ثلاثة عقود في إعادة الحالة الطبيعية الى المدن الكولومبية، والسلام وحكم القانون للقدر الأعظم من مناطق الغابات الشاسعة. كانت صرامة أوريبي سببا في موجات من الارتداد عن القوات الثورية المسلحة في كولومبيا، التي أصبح تعدادها الآن تسعة آلاف مقاتل بعد أن بلغت ستة عشر ألفا في عام 2001. والحقيقة أن العديد من المرتدين عن القوات الثورية المسلحة في كولومبيا يفضلون الآن النضال في سبيل قضيتهم بواسطة صناديق الاقتراع تحت لواء حزب «بولو الديمقراطي» البديل اليساري الجديد.

بيد أن الفوائد المترتبة على الهزيمة الواضحة التي ألحقها أوريبي بالقوات المسلحة الثورية في كولومبيا تمتد إلى ما هو أبعد من كولومبيا. كما كانت مهمة إنقاذ الرهائن سببا في إرغام شافيز، الذي لم يشف بعد من فشل استفتائه في العام الماضي (وهي اللحظة التي رفضت فيها حتى القيادات العليا في جيشه طلبه بتلفيق النتائج)، على اتخاذ موقف دفاعي. ويبدو أن محور أوريبي-لولا-كالديرون عازم على إبقائه في ذلك الموقف.

إن شافيز هو الخاسر ليس فقط لأنه ظل يزود القوات المسلحة الثورية في كولومبيا بالدعم المعنوي (حيث وصفهم بالمحاربين وليسوا الإرهابيين، ووصف أوريبي علنا بالجاسوس الأميركي)، بل وأيضا لأنه من المعتقد أنه كان يزود القوات الثورية المسلحة الكولومبية بدعم عسكري سري، ويبدو أن هذا النوع من الدعم يشكل جزءا من ثورة شافيز الاشتراكية «البوليفارية»، التي استغلت أموال النفط الفنزويلية لتمويل الحكومات اليسارية في الإكوادور، وبوليفيا، وكوبا على أمل تأسيس تحالف إقليمي مناهض لأميركا. أثناء الأعوام الثلاثة الأخيرة كان هناك من الأسباب الوجيهة ما جعلنا نعتقد أن أميركا اللاتينية تشهد فترة معتادة من فترات زعزعة الاستقرار التي يحدثها اليسار، نظرا الى ظهور الرئيس البوليفي إيفو مورالييس، والاكوادوري رافييل كوريا، وزعيم الفتنة شافيز. بيد أن الزيادة العالمية الحالية في أسعار السلع الخام كانت تعني أن مصادر النفوذ الإقليمي التقليدية في تشيلي، والبرازيل، والمكسيك تشهد أيضا ازدهارا اقتصاديا واضحا. وبهذا بات من السهل على لولا بصورة خاصة أن يواجه حلفاءه الاشتراكيين، وأن يباعد بينه وبين شافيز، بعد أن كان حتى مارس 2008 يؤيد شافيز في أعقاب الغارة الوجيزة التي شنتها كولومبيا داخل أراضي الاكوادور وقتلت زعيم القوات الثورية المسلحة في كولومبيا، راؤول ريز. كما حظي الخط المتشدد العنيد الذي اتبعه كالديرون في التعامل مع تجار المخدرات في المكسيك، والهجوم الصارم الذي سار على هدي السابقة التي أسسها أوريبي في التعامل مع القوات الثورية المسلحة في كولومبيا، بقدر عظيم من العون بسبب النمو الاقتصادي الذي أخرس صوت المعارضة الداخلية.

لقد بات محور أوريبي-لولا-كالديرون يشكل نفوذا جغرافيا استراتيجيا لأن الأمور بدأت في التغيير في كوبا منذ سلم فيدل كاسترو الرئاسة رسمياً لأخيه راؤول، وأصبحت أميركا اللاتينية مهووسة بهذا التحول، ويبدو أن أوريبي وكالديرون ولولا عازمون على عدم ترك الزمام لشافيز. في يناير الماضي زار لولا الجزيرة وبصحبته مجموعة من كبار رجال الأعمال البرازيليين، فوقع على اتفاقيات تجارية واستثمارية بلغت قيمتها مليار دولار أميركي. أما كالديرون الذي ناقض سياسة سلفه في التحدث علنا ضد عدم احترام حقوق الإنسان في كوبا، فكان حريصا على استعادة الروابط الوثيقة التقليدية بين المكسيك وكوبا. وفي وقت سابق من هذا العام وافق وزير خارجية المكسيك على إعادة جدولة الدين الذي بلغ 400 مليون دولار أميركي والذي تخلفت كوبا عن سداده. كما ازدادت عمليات التبادل الثقافي، ومن المتوقع أن يزور كالديرون كوبا قريبا.

إن هذا التقارب مع كوبا يمزج بين تحقيق المصلحة الشخصية وبين حسابات أخرى. ففي كل مكان من أميركا اللاتينية تشكل كوبا قضية سياسية داخلية، ويزعم بعض المعلقين أن أوريبي وكالديرون ولولا يأملون إصلاح العلاقات مع كوبا في تهدئة معارضيهم من جناح اليسار. فضلاً عن ذلك فإن عدم الاستقرار في كوبا قد يفرض تهديدات أمنية داخلية بالنسبة الى كل من أوريبي وكالديرون.

وترى البرازيل والمكسيك فرصا تجارية في الجزيرة، وبصورة خاصة بعد أن جعل راؤول كاسترو الجزيرة أكثر انفتاحاً على الاستثمار الأجنبي. ولكن ربما يمتنع كل من الزعماء الثلاثة عن التصريح علنا بالسبب الأكثر أهمية وراء تحسين العلاقات مع كوبا: فهم ينظرون إلى العلاقات الأوثق معها باعتبارها وسيلة لموازنة نفوذ شافيز، الذي حل في محل الاتحاد السوفييتي كممول رئيسي لكوبا. إلا أن أوريبي وكالديرون ولولا، على عكس شافيز تابع فيدل المتملق، يساندون بهدوء عملية التحرر السياسي في كوبا، ويعتقدون أن راؤول كاسترو يشعر هو أيضا بالقلق إزاء اعتماد كوبا على فنزويلا، والصين. ويقبل بعض المسؤولين في إدارة بوش هذه الحجة، بل ويعربون عن سعادتهم وهم يرون الأنظمة الديمقراطية في أميركا اللاتينية تسعى إلى فرض نفوذها، حيث لا تستطيع الولايات المتحدة أن تمد نفوذها. ويبدو أن أميركا اللاتينية لم تعد أسيرة الدهماء والعصابات.

* متحدث الشؤون الخارجية المحافظ في البرلمان الأوروبي عن المملكة المتحدة «بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»

الجريدة aljarida
www.aljarida.com
يومية سياسية مستقلة
تصدر في الكويت عن شركة الجريدة للصحافة والنشر
منطقة الصالحية - شارع فهد السالم - مبنى أسامة
تلفون: 2257036 - 2257037 - 2257038
فاكس: 2257035
خدمة العملاء والاشتراكات: 828111
فاكس خدمة العملاء: 2252540
ص. ب: 29846 صفاة 13159 الكويت
الإعلانات:
شركة الوقت الدولية للدعاية والإعلان
تلفون: 2495104/5/6/7
فاكس: 2495107
التوزيع:
شركة المجموعة التسويقية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع ذ. م. م.
تلفون: 4919620 - فاكس: 4839487